هوامش

أحبّ التونسي محمد غسان نويرة صدف البحر، وفوجئ حين اكتشف أنّ بإمكانه استخراج الألوان منها. هكذا، وهب نفسه لهذا العالم... عالم الصدف والأرجوان الملكي

يقوم بتجارب جديدة (العربي الجديد)

محمد غسان نويرة

تونسي يستخرج الأرجوان الملكي من الصدف

تونس ـ **مريم الناصري**

عادة ما يهتم علماء التاريخ والآثار بصدف البحر ودراسة أنواعه، وينشغل البعض بجمع الصدف لاستخراج اللؤلؤ الطبيعي. كما يهوى كثيرون جمع أنواع عدّة من الصدف واستخدامها في الزينة. وربما لا يدرك البعض أنّه يمكن استخراج الألوان من بعض أنواع الصدف، علماً أنّ هذه الألوان كانت تستخدم لصبغ ملابس الملوك والأعيان تاريخياً.

محمد غسان نويرة، أحد المغرمين بالتاريخ القديم، وقد اهتم بالصدف، وخصوصاً تلك التي يستخرج منها الأرجوان الملكي (صباغ أحمر أرجواني)، الذي يعد من أقدم الصبغات في التاريخ وقد اكتشفها الكنعانيون منذ نحو أربعة آلاف سنة، واشتهرت بها المدن الفينيقية على الساحل اللبناني، لتتطور هذه الصناعة في منطقة البحر الأبيض المتوسط. لاحقاً، ورثت قرطاج التونسية هذه الصناعة وعملت على تطويرها على امتداد الساحل وضفتي البحر الأبيض المتوسط، بحسب نويرة. ويشير إلى أنه لا يستخدم صباغ الأرجوان الملكي غير الملوك وأصحاب النفوذ والمال، إذ كان رمزاً للثراء. ويتجاوز سعر الصباغ المركز منه أكثر بـ15 مرة من قيمة الذهب. لذلك، كانت الصبغات تدرّ أرباحاً كثيرة على المدن الفينيقية كما القرطاجية لاحقاً عند سواحل البحر الأبيض المتوسط.

أحب نويرة استخراج الصباغ الأرجواني من صدف البحر منذ عام 1994. في ذلك الوقت، لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من العمر. في المدرسة، كان يدرس عن اقتصاد القرطاجيين والكنعانيين والمواد التي كانوا يستخرجونها ويبيعونها على سواحل البحر الأبيض المتوسط، فعرف أنهم اشتهروا بصناعة الأرجوان الملكي من صدف البحر الذي يسمى الموريكس. ويوجد ثلاثة أنواع منها لاستخراج الألوان، وكل نوع ينتج لوناً معيّناً. ويقول إنّ الأمر كان غريباً بالنسبة إليه. فكيف لشيء بتلك القيمة أن يستخرج من صدف البحر؟ وفي عام 2007، وجد صدفة موريكس مكسورة يخرج منها اللون الأرجواني على أحد الشواطئ. ومنذ ذلك الوقت، بدأ يستخرج الأرجوان الملكي الذي اندثرت صناعته منذ 600 سنة. يضيف: «هذا العمل شاق ويحتاج إلى الكثير من الوقت والصبر، خصوصاً أنّ النصوص التاريخية القديمة لا تقدم شرحاً عن كيفية استخراج الأرجوان الملكي. حاولت استكشاف الأمر بمفردي على الرغم من أن العملية معقدة. وبدأت أتعلم مراحل استخراج الألوان. استغرق الأمر نحو سنتين إلى أن تمكن من استخراج أول صبغة مركزة عام 2009، بالإضافة إلى استخراج ألوان مركبة من أنواع عدة من الصدف وخلطها، ثم صبغها على الصوف والحرير ومختلف أنواع المنسوجات».

في غرفة صغيرة في فسحة المنزل، قد يستمر عمل نويرة أكثر من 24 ساعة. وتكون البداية بالحصول على كميات من الصدف، وخصوصاً في فصلي الصيف والربيع، ثم يغسلها وينظفها جيداً. ثم يكسر الجزء العلوي من الصدفة لاستخراج الغدة المسؤولة عن اللون. وكل غدة تُخرج نقطة أو نقطتين من سائل لا لون له في البداية. لكن بعد تعرّضه للشمس والهواء، يبدأ اللون في التكون من السائل الذي يتحول إلى الأخضر ثم الأصفر ثم الأزرق فالأرجواني. في ما بعد يقوم بتجفيف تلك الغدة بالملح وتخميرها مرة أخرى على مدى مراحل عدة لتعود إلى اللون الذي يريده ليصبغ به. ويقول: «أصعب مرحلة في استخراج الأرجوان الملكي هي استخراج الألوان المركزة من الغدة وتنظيفها من الشوائب ليبقى اللون المركز فقط لصباغة الحرير أو الصوف وغيرهما من المنسوجات. ويشير إلى أن صبغة الأرجوان الملكي تتأثر بشكل كبير بالهواء والشمس، ما يعني أنّ الخطأ في أيّ مرحلة من المراحل قد يفشل عمل أسبوع أو أسبوعين. لذلك، يتطلب العمل الكثير من الصبر لاستخراج لون يمكن تثبيته على القماش أو الصوف أو الحرير. وتعد الصبغة المركزة للأرجوان الملكي أغلى صبغة في العالم.

من جهة أخرى، يشير إلى أنّه في السابق، كان نويرة يستخرج من الصدف ألواناً للرسم،علماً أنّ صناعتها تتطلب خلطها بالكلس وغيره لاستخراج مادة لزجة ملونة لرسم اللوحات. وتحتفظ اليونان بلوحات استخدمت اللون الأرجواني ويعود عمرها إلى أكثر من 3700 سنة، ما يشير إلى أنّه يدوم. في الوقت الحالي، يتلقى نويرة بعض العروض من الخارج لتجربة صباغة بعض أنواع الأقمشة بالأرجوان الملكي للاطلاع على شكل القطعة ومقارنتها بتلك التي تُصبغ بألوان أخرى عادية. كما يقوم بتجارب ليكتشف المواد التي يمكن صباغتها بتلك الألوان المركزة.

باختصار

تتأثر صبغة الأرجوان الملكي بشكل كبير بالهواء والشمس، ما يعني أنّ الخطأ في أيّ مرحلة من المراحل قد يفشل عمل أسبوع أو أسبوعين

■■■

في السابق، كان نويرة يستخرج من الصدف ألواناً للرسم،علماً أنّ صناعتها تتطلب خلطها بالكلس وغيره لاستخراج مادة لزجة ملونة لرسم اللوحات

■■■

أصعب مرحلة في استخراج الأرجوان الملكي هي استخراج الألوان المركزة من الغدة وتنظيفها من الشوائب ليبقى اللون المركز فقط لصبغ الحرير أو الصوف وغيرهما

وأخيراً

أما زالت أجمل الثورات؟

سعدية مفرح

اليوم .. في الذكرى العاشرة لثورة 25 يناير في مصر، أعود إلى مشاعري التي تركتها هناك، في جناين مصر حيث فتح الورد وامتلأت ميادين مصر بما رأيناه الخلاص للأمة كلها، باعتبار مصر قلب الأمة الذي يضخّ الحياة في شرايينها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، كما يُنذر بالموات قبل موعده من القلب إلى الأطراف.

حاولت تذكّر تلك المشاعر، فأعيتني الذاكرة التي أعرفها، إذ تعاندني ساعة تشاء، حماية لي كما أتوهم من مغبّة الذكريات إن تحوّل الوقت، وحوّلها إلى كابوس مستمر. عدت إلى بعض ما كتبته آنذاك، فاندهشت من حجم الأمل الذي كنت أكتب فيه، وأنا أراقب المشاهد المهيبة في ميدان التحرير ليلة بعد ليلة. استعدت قليلا من الصوت الهادر، وأنا أعيد قراءة مقال نشرته على هامش الثورة بعنوان «مصر هبة المصريين»، اعتبرت فيه أن ثورة مصر، بعد مرور 18 يوما على انطلاقتها، هي أجمل الثوراتٍ لأسباب أوردتها في ذلك المقال. فهل ما زالت ثورة مصر، بعد مرور أحد عشر عاما عليها أجمل الثورات فعلا؟ أعيد نشر بعض مما كتبته يومها لمقارنته بما حدث ويحدث منذ ذلك التاريخ، في محاولة للإجابة عن السؤال:

« .. والمصريون، أولئك القوم الصابرون على ابتلاءات السياسة، بالرغم من ابتسامات الطبيعة، على مر الأزمان، المكافحون بفيض الإبداع، وسيول الضحك والفرح وأنهار الفنون والآداب والعلوم، الضاربون في كل فج عميق من الجمال والاحتمال، الفنانون، التاريخيون، الحضاريون، الشعراء والروائيون، العلماء، السياسيون، المناضلون، الحمّالون للأسية والأسى، الكادحون، الطيبون .. قرّروا أخيرا أن يقولوا كلمتهم الحرة، وأن يتحدثوا بصوت عال، وأن يستثمروا مواهبهم كلها في استرداد حريتهم وشخصيتهم، وأن يقفوا حرّاسا على حافة نبع روحهم الجميلة.

نضال فيسبوك والتويتر واليوتيوب وغيرها من أدوات التكنولوجيا الحديثة ووسائلها التحم مع نضالات الشارع. ويوما بعد يوم، رجالا ونساء، شبابا وشيوخا وأطفالا، أقباطا ومسلمين، في الداخل والخارج.. كلهم كلهم.. قرّروا ان يتحدوا قصدا، هم المتحدون في طبيعتهم وفطرتهم القديمة، وأن يصدحوا بتلك الكلمة السحرية المكونة من حرفين فقط: لا.

صدحوا بها ليلا ونهارا، ورددها خلفهم من وراء الشاشات التلفزيونية والإلكترونية الكثيرون ممن تماهوا مع الثورة الشابة في كل بقاع الأرض، فأزهرت هذه الـ«لا» الكثير من «الورد اللّي فتّح في جناين مصر». صار للثورة قلب اسمه ميدان التحرير، وتحول ذلك القلب إلى بؤرة للرفض النابض بالغضب والأمل والمغذّي للصورة بدم الشباب في كل مكان مصري وعربي أيضا. انتصرت مصر، بشعبها، وتحقّقت إرادتها الحرّة، وقالت كلمتها الأولى لأنها كلمتها الأخيرة، وتحقّق شعارها، وتنحّى الرئيس أخيرا، أو لعلّه نُحي، بعد أن حاول أن يقاوم إرادة الشعب بالمزيد من التعالي والترفع والدوس على الدماء الطاهرة التي حنت أرض مصر، والورد اللّي فتّح في جناين مصر، فكانت أجمل ثورة.

أجمل ثورة .. لأنها بدأت ثورة سلمية، وحافظت على سلميتها منذ اليوم الأول إلى اليوم الأخير. وأظهر الشباب المصري مقدرةً عاليةً على ضبط النفس، حتى في أحلك اللحظات وأصعبها. وكانت الرسائل المتبادلة بينهم عبر فيسبوك، وخصوصا ليلة اللاتنحّي، وهم يتواصون أن تظل الثورة سلمية تثير الإعجاب

> مصر قلب الأمة الذي يضخّ الحياة في شرايينها، كما يُنذر بالموات قبل موعده من القلب إلى الأطراف

المضاعف بهم، خاصة أن الجميع لاحظ أن كلمة «سلمية» هي المفردة الأكثر ورودا في رسائلهم تلك. وهي أجمل ثورة، لأنها ثورة ذكية، ومنظمّة، بالرغم من عفويتها، وبلا إملاءات خارجية كما حاول إعلام السلطة المتهافتة أن يوحي بذلك.

وهي أجمل ثورة، لأنها انفتحت على الجميع، في كل مكان، وأزعم أن الجميع شارك فيها أيضا.

وهي أجمل ثورة، لأنها تجاوزت كل ما يمكن أن يعرقلها بلا طائفية. وكان واحدا من أجمل مشاهدها مشهد المصريين المسلمين وهم يصلّون بحماية أشقائهم المسيحيين، من دون أي ادّعاءات أو افتعال أو تمثيل، فهذه هي مصر عندما تتحدّث عن نفسها بلهجتها المحبّبة، وبلغتها الفصيحة، وبروحها.

وهي أجمل ثورة، لأنها أول ثورة تكنولوجية في تنظيمها، وفي تداعياتها أيضا.

وهي أجمل ثورة، لأنها أيضا ثورة خفيفة الدم، رغم كل الدماء التي سالت من أجساد الشهداء، فقد توشّحت بالنكتة الحارقة، في كل تطوّراتها. وكنت أتابع بعض شباب الميدان في رسائلهم القصيرة على فيسبوك وتويتر، وأعجب من قدرته على صنع النكتة بسرعة فائقة.

هي أجمل ثورة بالفعل، وعليها أن تبقى جميلةً، فتترفع عن الثارات الصغيرة والحسابات الضيقة.. كالعادة في مثل هذه الأحوال».. والإجابة واضحة!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ Switzerland **CHF 3,50**, Spain **€ 2,20**, Italy **€ 2,10**, Holland **€ 2,30**, Germany **€ 2,30**, France **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, Austria **€ 2,20**, UK **£ 1,20**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**